

**البينية وأثرها في بيان الإعجاز القرآني (كتاب إعجاز القرآن العلمي
والبلاغي والحسابي أنموذجاً)**

***Interdisciplinary and its impact on the statement of Quranic
miracles (The Book of Miracles of the Scientific, Rhetorical and
Arithmetic Qur'an as a model).***

م.د. وسام لهواك ظاهر: كلية الإمام الكاظم (ع)، أقسام ذي قار، العراق

Asst.Prof. Wissam Lihwak Dahir: Al-Imam Al-Kadhim (peace be upon him) College, Dhi Qar Departments, Iraq

المخلص:

هدفت الدراسة الى بيان حقيقة الإعجاز القرآني وفق رؤية ومنهجية مغايرة لما دأبت عليه الدراسات القديمة والتي اعتمدت التخصص الدقيق منهجاً في منظومة البحث العلمي. اعتمدت منهجاً وصفيّاً يقوم بوصف المسائل المتعلقة بالإعجاز القرآني وتحليلها ويكون عابراً للتخصص الواحد معتمداً على بيان الثقافة الموسوعية للمؤلف في إفادته من الحقول المعرفية المختلفة والتي تصب كلها في خدمة هدف الدراسة وهو ما يعرف بالمنهج البيني، حيث توصلت الدراسة الى أنّ اعتماد المنهج البيني يعطي نتائج أكثر توازناً في بيان حقيقة ما وهو ما تبين في مسألة الإعجاز القرآني وذلك من خلال تظافر واتحاد التخصصات المختلفة في بيان جوهر الاعجاز، كما أنّ اعتماد الدراسات البينية يتلاءم مع متطلبات الثورة المعلوماتية الحديثة والتي اماطت اللثام عن الحقول والتخصصات المعرفية المختلفة والتي تساعد الباحث بالانتقل بين الحقول العلمية المختلفة وبالتالي يمكن لهذه الدراسات أن تحجب على أسئلة مترابطة تتعلق بفكرنا العربي لاسيما التراثي منه.

الكلمات المفتاحية: البينية، الاعجاز، التخصصات العابرة، التكامل المعرفي

Abstract

The study aimed to clarify the fact of Quranic miracles according to a vision and a method is different from what the old studies used to; which relied on the exact specialization as a method in the scientific research system. Our study relied on the descriptive method that describes and analyze the issues related to the Quraanic miracles and it transcends the one specialization, depending on showing the author's encyclopedic culture in his testimony from the various fields of knowledge, all of which serve the purpose of the study, which is known as the interdisciplinary approach. The study concluded that relying on the interdisciplinary approach gives more balanced results in proving some fact, and it was clear in the question of the Quraanic miraculous. That is through union of the different disciplines in explaining the essence of miracles. Also, the adoption of interdisciplinary studies matches with the requirements of the modern information revolution, which has revealed the different fields and disciplines of knowledge, which help the researcher to move between the different scientific fields, and thus these studies can answer accumulated questions related to our Arab thought, especially the heritage of it.

Keywords: intersectionality ,miracles ,cross-disciplines ,cognitive integration.

المقدمة:

دأبت الدراسات القديمة على اعتماد التخصص الدقيق منها في منظومة البحث العلمي، وقد شكلت الثورة المعلوماتية الكبيرة تحولا هاما في ظهور توجهات مختلفة، أنتجت أفكارا ورؤى جديدة تذهب باتجاه وحدة المعرفة وأهمية اتحاد وتكامل التخصصات المختلفة وصولا الى المعرفة المنشودة وهو ما يُعرف اليوم بالدراسات البينية (inter disciplinary).

وتعد الدراسات البينية منهجا جديدا من مناهج البحث العلمي وفد الى الثقافة العربية من خلال تحولات معرفية حداثية طرأت على الساحة الفكرية المعاصرة يحاول تقديم أجوبة لكثير من التساؤلات العلمية التي عجز المنهج التخصصي عن تقديم أجوبة مقنعة لها، والبحث يحاول تطبيق الدراسات البينية على الدرس الإعجازي القرآني لاسيما وأن كثيرا من المفاهيم البينية موجودة في التراث الفكري الإسلامي ومنها في مباحث الإعجاز القرآني، علنا نصل الى بعض من حقيقة الإعجاز القرآني الذي شغل العلماء قديما وحديثا.

مشكلة الدراسة:

تتعلق مشكلة الدراسة بمسألة مهمة من مسائل الفكر العربي القديم والمعاصر والتي تناولها علمائنا القدماء والمحدثون وهي مسألة الإعجاز القرآني فقد صُنِّفت في ذلك مصنفات عديدة ذهب أصحابها الى بيان وجوه عدة للإعجاز القرآني والسؤال المحوري هنا هو: أين يكمن إعجاز في القرآن الكريم؟

ويندرج تحت هذا التساؤل مجموعة من الأسئلة ايضا:

هل يكمن الإعجاز القرآني في لغته؟ أم فيما حواه من الإشارات والحقائق العلمية المختلفة؟، أم في إخباره عن الغيب؟، أم في اشتماله على مجموعة من المسائل الحسابية؟

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة منهجاً وصفيًا يعتمد على الدرس البيني في رصد الحقائق وتحليلها يقوم على وحدة المعرفة وتظافر العلوم المختلفة في بيان الهدف الواحد

أهمية الدراسة:

يعد الإعجاز القرآني من الموضوعات المهمة التي شغلت العلماء قديماً وحديثاً، وقد جاءت الدراسة لتسلط الضوء على مكان الإعجاز معتمدة في ذلك على رافد معرفي جديد في إبراز الإعجاز

القرآني وهو الدرس البيني وتكمن أهمية الدراسة في كونها تتناول القرآن الكريم وتتطرق لأهم حقيقة من حقائقه الثرة والتي تحدى بها الأنس والجن على مر الدهور.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة _ وهي تتناول الإعجاز القرآني _ الى بيان مكامن الإعجاز القرآني من خلال الاستعانة بالتخصصات العملية المختلفة، كما تهدف الدراسة الى استعمال مناهج جديدة في تناولها لمسألة الإعجاز القرآني علها تجيب عن الأسئلة المتراكمة التي فرضتها طبيعة التطور العلمي والتكنولوجي المعاصر.

المبحث الأول: البينية والإعجاز (دراسة في المفهوم والركائز)

المطلب الأول: البينية

1 - الدلالة المعجمية للبينية

البينية مصطلح عربي مقابل للكلمة الإنجليزية (inter disciplinary) وهي كلمة مركبة من مقطعين هما (inter) و (disciplinary) والترجمة الحرفية لهما في معجم كامبردج تتمثل بجعل كلمة (البين) مقابل للمقطع الأول (inter) وتأتي كلمة التخصصات مقابلة للمقطع الثاني (disciplinary) وهذا التركيب الاصطلاحي يحمل دلالة الربط والجمع بين مجالين او اكثر من مجالات البحث العلمي⁽¹⁾.

وبالرجوع الى المعجم العربي نجد ان مصطلح البينية مأخوذ من البينونة وهو " مصدر بَانَ يَبِينُ بَيِّنًا وَبَيِّنُونَ، أي: قطع. والبين الفرقة، و الاسم: البَيِّنُ ايضاً. والبَيِّنُ: الوصل، قال عز من قائل: لقد نَقَّطَ بينكم، أي: وصلكم "⁽²⁾. ومصطلح البينية من مصطلحات الاضداد يأتي بمعنى الوصل والفرق⁽³⁾.

يتضح مما سبق ان دلالة مصطلح البينية في اللغة الإنجليزية مقارنة لما هي عليه في اللغة العربية وهذا ما يمكن تلمسه في دلالة الجمع والربط التي حددها معجم كامبردج ودلالة الوصل والفرق التي حددتها المعجمات العربية آنفة الذكر، وهنا يظهر مفهوم البينية من خلال تكامل المناهج المتباعدة ووصلها مع بعضها وصولاً الى الحقيقة المعرفية المنشودة.

(1) <https://dictionary.cambridge.org/dictionary/ English/ inter disciplinary>

(2) كتاب العين، الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال (د.ت): ج8، ص380.

(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الملايين، ج5، ص2082.

2- الدلالة الاصطلاحية للبينية

سبق وان ذكرنا بأن الدراسات البينية وافد جديد للدرس العربي الأمر الذي جعله محطاً للأخذ والرد بين الباحثين الذين اهتموا بالدراسات البينية وهذا يعني اننا امام عدم وجود تعريف سائد في الدرس البيني هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن مجالات وحدود البينية تنماز بانفتاح افقها في فضاء واسع تتداخل فيه العلوم والمعارف بما يشكل مرجعيات متنوعة لها رؤيتها الخاصة في تناول العلوم البينية.

وعلى الرغم من ذلك فقد عُرِّفت البينية بأنها عملية تفاعل وتبادل للمعارف بين تخصصات مختلفة وهو تبادل قد يفضي الى تكامل التخصصات المتداخلة ليكون تخصصاً جديداً من خلال تضافيف يحدث بين مكونين او أكثر يكون كل مكون منها منتماً الى حقل من حقول المعرفة⁽¹⁾.

وذهب الباحثان (ويليام نويل، وجولي كلاين) إلى أنّ البينية " دراسة مرجعها حقلان معرفيان أو اكثر، وهي دراسة تجيب عن أسئلة أو مشاكل يعسر على نظام واحد حلها "⁽²⁾. الأمر الذي يؤسس الى مرحلة جديدة يمكن ان يطلق عليها مرحلة (عبور التخصص) والتي تعتمد على موسوعية وثقافة المؤلف والتي تمكنه من التنقل بين التخصصات المختلفة بما ينتج فهماً شمولياً من خلال اندماجه مع مجموعة من المختصين.

3- مرتكزات البينية

تعتمد البينية في بيان مفهومها على مجموعة من الركائز نبينها فيما يأتي:

أ - التعدد

ويعني إشراك أكثر من تخصص في إيجاد معالجات وأجوبة لموضوع واحد من دون أن يكون المراد من هذا الاشتراك إيجاد منهج لدمج العلوم في إطار متداخل⁽³⁾.

وهذا المعنى يتضح اكثر عند (باترك شارودو) الذي يرى البينية بأنها " مجال تتكامل فيه الدراسات المتخصصة في حقول معرفية متميزة، وتتراكم دون أن تتفاعل وتتقاطع بالضرورة، فكل تخصص يضيف الى الموضوع المطروق معرفة ما، أو وجهة نظر أو مقارنة ما، ويحافظ في الآن

(1) التفكير البيني أسسه النظرية، وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الأمام محمد ابن سعود الإسلامية، (ت): 16.

(2) المصدر نفسه 16

(3) يُنظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، د صلاح فضل: 136.

نفسه على استقلاله إزاء سائر التخصصات المشاركة له في خدمة ذلك الموضوع أو ذلك الحقل المعرفي⁽¹⁾.

ب- العبور

ويعني المعرفة المتنقلة بين التخصصات المختلفة والتي تهدف للوصول الى فهم شمولي لموضوع ما من خلال الامتزاج المعرفي بين العلوم مما يجعل الباحث قادراً على اختراق الحقول المعرفية الأمر الذي يتعلق بالموضوع وليس بالتخصص، كموضوع الزمن الذي لا يقف عند تخصص واحد، بل يمتاز بصفة العبور، فتجده في مجموعة من التخصصات كالفيزياء والأدب والفلسفة والفنون⁽²⁾.

ج- التداخل والتشابك

ويدل هذا المرتكز على عملية تحديد مجموعة من المعارف ثم الربط بينها واستعمالها بشكل متوازن، على الرغم من وجود علاقات سابقة بينها⁽³⁾.

وهذه الركيزة تنبأ عن ثقافة وموسوعية الباحث والتي تمكنه من الغوص في الحقول المعرفية المختلفة وإيجاد الأواصر المتشابهة بين المعارف والتي تمكنه من الإجابة على تساؤلات كثيرة يصعب الإجابة عليها في مجال معرفي واحد.

4- أهداف البينية

للدروس البيني مجموعة من الأهداف⁽⁴⁾ تتلخص فيما يأتي:

أ- **الإبداع في التفكير:** ويعني تطوير القدرة على عرض القضايا ومزج المعلومات من وجهات نظر متعددة لتحدي الافتراضات التي بنيت عليها وتعميق فهمها، مع الأخذ في الاعتبار استعمال أساليب البحث والتحقيق من التخصصات المتنوعة لتحديد المشاكل والحلول للبحوث خارج نطاق النظام الواحد.

ب- **دمج المعرفة:** وتعني ربط وتكامل العلوم للوصول الى مخرجات ذات جودة عالية مبنية على العلوم الأساسية والطبيعية

(1) التذكير البيني اسسه النظرية، وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها: 14.

(2) تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي، دراسة في العلاقات بين العلوم، محمد همام، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، بيروت، لسنة 2017 م: 78.

(3) المصدر نفسه: 76.

(4) يُنظر الدراسات البينية، بحث منشور في مجلة مركز الأبحاث الواعدة، جامعة الأميرة نورة عبد الرحمن: 9.

ت-تحقيق التكامل المعرفي: من خلال إدراك ومواجهة الاختلافات بين التخصصات المختلفة للوصول الى وحدة المعرفة المتكاملة والأكثر شمولاً لتخصصات مختلفة
ث-إنتاج المعرفة: من خلال تطبيق المرتكزات البينية الأنفة الذكر والتي ستنتج معرفة متكاملة عبارة عن نتاج لتداخل واندماج العلوم والمعارف المختلفة.

المطلب الثاني: الإعجاز

1- الدلالة المعجمية للإعجاز

الإعجاز والمعجزة مأخوذة من "عجز: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وأدراكه، والعجز نقيض الحزم، وعَجَرَ يَعْجُرُ عَجْراً فهو عاجزٌ ضعيفٌ... والعجوز: المرأة الشیخة... وعاجز فلان: حين ذهب فلم يقدر عليه"⁽¹⁾. و " العين والجيم والزاي صحيحان، يدل احدهما على الضعف والآخر على مؤخر الشيء..."⁽²⁾.

ومما سبق يظهر أن المعجزة تدل على الضعف وانعدام القدرة، وقد تدل على فوات الشيء، يقول الرازي (ت 313 هجرية) " أعجزه الشيء فاتته وعجزه تعجيزاً ثبّطه أو نسبه الى العجز"⁽³⁾.

2- الدلالة الاصطلاحية

وردت تعريفات عديدة للمعجزة وقد اختلفت فيما بينها ضيقاً واتساعاً فالمعجزة عند القرطبي (ت: 671هـ) هي أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله⁽⁴⁾.

وبينها السيوطي (ت 911 هجرية) بقوله: " أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي أما حسيه أو عقلية"⁽⁵⁾.

(1) العين: 215/1.

(2) تاج العروس، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسين ت 1205 للهجرة مرتضى الزبيدي، تح /مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت): ج15، ص211.

(3) مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر بن عبد القاهر، ت 166 للهجرة، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط1، 1995 للميلاد: 467.

(4) الجامع لأحكام القرآن محمد بن احمد بن ابي بكر، ت 671 للهجرة، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض - السعودية، 2003 ميلادية: 69/1.

(5) الإتيان في علوم القرآن جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، ط1، مطبعة دار الفكر، لبنان، ج2، ص311.

وذكر السيد الخوئي (رحمه الله) بأن المعجزة هي " أن يأتي المدّعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه"⁽¹⁾ وأشترط السيد محمد باقر الصدر (رحمه الله) ثبوت المعجزة الخارقة لنواميس الطبيعة خضوعها للتجربة والحس⁽²⁾.

3- مرتكزات المعجزة

من خلال البحث في آراء العلماء حول مسألة الإعجاز القرآني نجد أنهم يضعون مجموعة من الركائز الأساسية لصحة وقوع المعجزة سندكرها على سبيل الإيجاز، ويمكن اجمالها بما يأتي⁽³⁾.

أ- خرق النواميس الطبيعية

ب- أن تقتزن بالتحدي

ت- أن تجري على يد النبي.

ث- سلامتها من المعارضة.

ج- أن تكون إما حسية أو عقلية.

وقد ذكر العلماء قديماً وحديثاً وجوهاً كثيرة للإعجاز وكان أبرزها الإعجاز البياني ألا أنّ الكثير من هذه الوجوه بيّنت الاعجاز على أساس التخصص الواحد وقد ذكرت أصناف الاعجاز القرآني كالغبيبي والنفسي على سبيل المعرفة المنفصلة عن الأخرى لا على سبيل التكامل المعرفي بين العلوم وهم معذورون في ذلك ؛ فالعلوم لم تتكامل بعد آنذاك فضلاً عن أن الشغل الشاغل لهم كان بيان موضع الاعجاز الذي أذهلهم ببديع نضمه وقوة سبكه، إلا أن هناك من حاول أن يدخل مجموعة من التخصصات في فهم حقيقة الإعجاز القرآني معتمداً على توظيف مجموعة من العلوم في الوصول الى أجوبة لتساؤلات موروثة ومستحدثة تتعلق بالإعجاز القرآني وهو ما يسمى بالمنهج البياني وهذا ما سيأتي بيانه في المبحث التالي.

(1) البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي، مطبعة دار الزهراء، بيروت، ط4، 1975 م: 34/1.

(2) يُنظر المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، مكتبة سلمان المحمدي، بغداد/ العراق، ط1، 2013 م: 279.

(3) يُنظر: المصدر نفسه، ويُنظر: الاتقان: 311/2.

المبحث الثاني: أثر الدراسات البينية في بيان الإعجاز القرآني كتاب (إعجاز القرآن العلمي والبلاغي والحسابي) لحمد حسن قنديل أنموذجاً

ظهرت في الساحة الفكرية الحديثة اتجاهات علمية متعددة شملت جوانب فكرية وفلسفية مختلفة حتى أخذت قضية الحداثة وانجازاتها حيزاً واسعاً في الفكر الإسلامي الذي انكفأ بالانطواء على نفسه أو أنه عاد يرنو بعينه الى الماضي ليستمد منه البقاء اعتقاداً من القائمين عليه أن في هذا التراث ما يغني الفكر الحداثي المعاصر، إلا أن التطور العلمي وثورة المعلومات الكبيرة التي خدمت التوجهات المادية المعاصرة قد دخلت الى كل بيت، ومضت تجد مكانها بين أحضان المجتمع الإسلامي، ذلك المجتمع الذي يحرص مفكروه وقادته على التمسك بالتراث معتقدين أنهم يحافظون على أسس المنظومة الإسلامية والتي باتت مهددة بالتعرية الفكرية؛ وذلك لاستعمالها أدوات قديمة وجدت نفسها منعزلة إزاء تقنيات الفكر المادي المعاصر والذي أخذ دور الريادة على الساحة العالمية.

ونتيجة لذلك برزت تساؤلات عديدة حول مواكبة الفكر الإسلامي لهذا التطور العلمي الكبير، فحاول كثير من علماء المسلمين الإجابة على هذه التساؤلات ليبيّنوا مكان العلوم -التجريبية والإنسانية... في الموروث الإسلامي لاسيما النص القرآني المبارك، فكان لابد من منهج يكون عابراً للتخصص الواحد وينماز صاحبه بملكة معرفية موسوعية تُمكنه من اقتحام الحقول المعرفية المختلفة، فظهرت للساحة الإسلامية محاولات جادة استطاع مؤلفوها أن يقدموا خطاباً علمياً يتناسب ومقتضيات الفكر المعاصر.

وكتاب الإعجاز القرآن العلمي والبلاغي والحسابي لحمد قنديل يتناول القضايا الجوهرية في الإعجاز القرآني عن طريق بيان المفاهيم الأساسية للإعجاز ومنهج التفكير فيها، إذ يعتمد على العقل بوصفه المقياس الأساس في التفكير البشري فيتطرق فيه الى الإعجاز العلمي وما حواه القرآن الكريم من حقائق علمية مختلفة تطابقت مع الفكر التجريبي المعاصر، فضلاً عن الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم والذي أذهل العقول وأدهش أهل الصنعة في بديع نظمهِ وقوة سبكه وعمق معانيه، فضلاً عن الإعجاز الحسابي وما يتصل بمفاهيم الرياضيات العددية اليوم، فكانت أدواته المعرفية المتنوعة تتضافر باتجاه تشكيل رؤية علمية تتجاوز الأطر المعرفية القديمة، والتي يمكن تسميتها بالتضافر المعرفي للوصول الى نتائج علمية.

وهنا يبرز الدرس البيني في تحقيق رؤية معرفية شمولية وهذا ما سيأتي بيانه.

أولاً- ركائز الفكر البيني في كتاب الإعجاز العلمي والبلاغي والحسابي

وهنا سيقوم الباحث باستحضار مجموعة من المقولات العلمية التي وردت في متن الكتاب؛ لنعمل على إعادتها الى تخصصات مختلفة تضافرت باتجاه رؤية معرفية يسعى الباحث لتثبيتها تستند

الى اكبر قدر ممكن من التخصصات المعرفية العلمية، وهذا يمثل أبرز تجليات الدرس البيني الحديث، وذلك في نحو ما ورد في بقوله: " لقد أقرّ العلماء أنّ الإنسان إذا تجاوز ثمانية كيلو مترات فوق مستوى سطح البحر فإنه يتعرض لمشكلات عديدة منها صعوبة التنفس لنقص الأوكسجين وتناقص ضغط الهواء، وهو مرض يسميه المتخصصون بأنه مرض عوز الأوكسجين، ومنها مشكلات انخفاض الضغط الجوي والذي يسمى باسم خلل الضغط الجوي، وتحت تأثير ذلك لا يستطيع جسم الإنسان القيام بوظائفه الحيوية، فتبدأ في التوقف الوظيفة تلو الأخرى، ويمكن تفسير ضيق الصدر الذي يمر به الانسان اثناء صعوده في السماء بدون وسائل وقائية بأنه الشعور بالإجهاد الشديد والصداع المستمر والشعور بالرغبة في النوم، ونتيجةً للنقص في الضغط الجوي تبدأ الغازات المحبوسة في الجسم بالتمدد مما يؤدي الى ضغوط شديدة على الرئتين والقلب مما يؤثر على انسجتهما، فيسبب الشعور بضيق الصدر وحسرة الموت وكذلك تتأثر بقية الأجهزة كما تبدأ الغازات الذائبة في جميع سوائل الجسم وانسجته في الانفصال والتصاعد الى خارج حيز الجسم على هيئة فقاعات مما يؤدي الى ضيق شديد في التنفس نتيجة لتصاعد النتروجين من أنسجة الرئتين وكذلك تتأثر بقية أعضاء الجسم. ولقد أشار الله تعالى الى قوله سبحانه وتعالى {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}(الأنعام: 125)⁽¹⁾.

إن المتمعن في النص أعلاه يجد نفسه امام متخصص في الكيمياء والفيزياء والطب، يوظف هذه العلوم من اجل مبتغى أساسي يمثل جوهر الإعجاز القرآني.

وعندما ننعم النظر فيما ذهب اليه بقوله " اسرار كثيرة تثبت أنّ القرآن الكريم هو وحي الله المليء بالأسرار والمعجزات، والأمثلة كثيرة مذكر منها الحقائق الآتية: سورة ق الآية الأولى فيها { ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ } وسورة الشورى الآية الثانية فيها { (عسق) }، ولأن حرف القاف جاء في الآية الأولى من سورة قاف فكان من الآية الأخيرة قوله تعالى { فنذكر بالقرآن من يخاف وعيد } ولأن حرف قاف جاء بالآية الثانية من سورة الشورى فكان من الآية قبل الأخيرة قوله تعالى { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا } والمقصود في الآيتين القرآن الكريم، لفت ذلك نظر العلماء أنّ حرف قاف ربما يشير الى القرآن الكريم، فقاموا بعد حروف قاف في سورة قاف فكان العدد 57 وقاموا بعد حروف قاف في سورة الشورى فكان الناتج 57 ويجمع العددين ليكون المجموع 114 حرفاً بعدد سور القرآن الكريم... ولقد تكرر لفظ الجزء 117 مرة وورد لفظ المغفرة ضعف هذا العدد 234 لأن مغفرة الله أوسع من جزائه

(1) إعجاز القرآن العلمي والبلاغي والحسابي محمد حسن قنديل، دار الكتب والوثائق المصرية، 2006م، ص22.

"(1) ففي هذا النص وظّف السيد محمد قنديل علم الحساب الرقمي لينتج لنا رؤية جديدة تواكب التطور المعرفي السائد محاولاً من خلالها كشف سر الإعجاز القرآني.

ونجد في قوله " أن رسم القرآن الكريم أكبر واشمل من قواعد الكتابة التي نتداولها فهو موضوع لحكمه الهية مطلقة، وكذلك القواعد الأعرابية في القرآن فهي الأساس لكل قاعدة أخرى...، وكذلك فإن لكلمات القرآن الكريم عمقاً لغوياً يرتبط بأصل كل كلمة في إطار معين لا يخرج المعنى عنه، فمثلاً اذا نظرنا الى قوله تعالى { إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ } { التوبة: 37 }...، أن العمق اللغوي لكلمة النسيء هي اللفظ نساً نجد أن النسيء هو تأخير الشهور بحسب مصالح المشركين فعبرت هذه اللحظة عن البعد الإعجازي في لغة القرآن الكريم والتي اثرت المعنى المراد..."(2).

فهنا عرّج قنديل بنا الى الأصل الأبرز في بيان إعجاز القرآن الكريم وهو البلاغة المتأنتية من دقة الاستعمال وقصدية المعنى بعد هذا الاستعراض نستطيع أن ندون مجموعة من الركائز ذات الأهمية في استجلاء أثر الفكر البيني فيما تقدم من أمثلة لميادين معرفية تقع خارج التخصص الواحد الذي طرح فيه محمد قنديل رؤيته في بيان الإعجاز القرآني، وهي كالآتي:

1- جاءت صفة العبور وسيلة معرفية هامة استطاعت الامتزاج مع العلوم المختلفة خرج نطاق التخصص بمعنى أن الأمر هنا يتعلق بالموضوع وليس بالتخصص وإنما تم توظيف مجموعة من التخصصات خدمة للموضوع الواحد وهو الإعجاز الذي حاول السيد محمد قنديل بيان مكنونه وكما مرّ بنا في الأمثلة السابقة حيث تحقق العبور بين معارف البلاغة والفيزياء والكيمياء والطب، وهذا من أهم مظاهر الفكر البيني الذي نهجه اليد محمد قنديل في كتابه.

2- ونتيجة لصفة العبور التي أشرنا إليها في الفقرة أعلاه؛ فإن التكامل المعرفي من خلال تعدد التخصصات بات جلياً عند السيد محمد قنديل فما تم عرضه من تداخل العلوم جعلها تتآزر فيما بينها لتحقيق هدف مشترك دون أن تعدل أياً منها في نظرتها للأشياء ولا في المناهج الخاصة بها، فعلى الرغم من كثرة التخصصات الا انها جُعِلت في خدمة هدف المؤلف المتمثل في بيان أسرار الإعجاز القرآني.

3- جاء الكتاب ليعالج مسألة من المسائل ذات التعقيد، وهي تمثل اصلاً معرفياً شغل العلماء منذ القدم والذي حاول إيجاد رؤية معرفية جديدة لمسألة الإعجاز القرآني مستعيناً بمبدأ التضافر والتكامل المعرفي وبالتالي انتاج فهم مقبول يحقق مقتضيات المنهج العلمي ومتطلبات العقل البشري

(1) المصدر نفسه: 251

(2) المصدر نفسه: 222.

ثانياً- ملاحظات عامة حول كتاب الإعجاز العلمي والبلاغي والحسابي في القرآن الكريم

هناك جملة من الملاحظات التي تثبتها الباحثة، وهي كالآتي:

1- إنَّ ما يُحسب للمؤلف توظيفه لأكثر من حقل معرفي في خدمة قضيته التي بنى عليها الكتاب، إلا أنَّه أهمل جوانب هامة في صميم الدرس الإعجازي؛ فلم يورد إلا مثالين أو ثلاثة أمثلة عن الإعجاز البلاغي، ذلك الوجه الذي شغل العلماء وصنفوا فيه المصنفات التي اشبعوها بالبحث والتحليل.

2- نهج المؤلف أسلوب المطابقة بين ما توصلت إليه العلوم من حقائق هامة على الأصعدة العلمية المختلفة، وبين الإشارات الموجودة في القرآن الكريم والتي تحيل إلى تلك الحقائق المكتشفة معتمداً في ذلك على ثقافته الموسوعية التي مكنته من المعرفة بالعلوم المجاورة

يظهر أنَّ للتطور المعلوماتي الكبير أثراً في تركيز المؤلف على العلوم التطبيقية التي شغلت العالم في العصر الحالي واجابت على كثير من التساؤلات التي ظلت تبحث عن إجابات منذ زمن بعيد الأمر الذي جعل المؤلف يعتقد أنَّ ضالته تكمن في هذه العلوم، ولم يلتفت إلى رأي من ذهب بعدم وجود الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؛ كونه كتاب هداية ليس بالضرورة أن يكون مصدراً لطب والفيزياء والكيمياء وغيرها من العلوم التجريبية الصرفة⁽¹⁾.

الخاتمة:

البينية مصطلح جديد، لكن جملة من مفاهيمه التطبيقية كانت حاضرة في المنظومة المعرفية القديمة عربية كانت أم غربية، والبينية جاءت لتتجاوز حدود التخصص الواحد، فهي تظافر لعدد من التخصصات في دراسة موضوع ما، أو مشاركة عدد من المتخصصين في ميادين معرفية متعددة في دراسة ظاهرة ما، وقد جاءت الدراسة لتطبق هذه المفاهيم البينية على كتاب حاول مؤلفه أن يستعين بالتخصصات الأخرى لبيان ظاهرة الإعجاز، ويمكن إيجاز أهم ما توصل إليه البحث بما يأتي:

1- إنَّ معظم الدراسات الحديثة التي تناولت الإعجاز القرآني شابها الكثير من التكرار، فلم تقدم صورة واضحة مختلفة عن الصورة التي قدمها القدماء، من هنا جاءت محاولة السيد محمد قنديل في تقديم رؤية معرفية جديدة حلو مفهوم الإعجاز اعتمدت منهجاً بينياً يعتمد على التضافر والتآزر بين العلوم بغية تقديم فهم جديد يلائم متطلبات العقل البشري المعاصر.

¹ يُنظر الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية بيانية، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، ط 3، (د. ت): 96.

2- تمثل الدراسات البيئية رافداً هاماً من روافد المعرفة يتناسب مع الكم المعلوماتي الكبير الذي توفره التقنيات العلمية الحديثة.

3- المتمعن في مصنفات الإعجاز القديمة يجب انها اعتمدت احياناً المنهج البيئي وهذا يتجلى في تعدد وجوه الإعجاز لديهم والتي وصلت عند بعضهم الى ثمانين وجهاً، ألا أنها تمثل البيئة المعرفية في زمانٍ ما ولا يمكن لنا أن نحاكم تلك الرؤى بما موجود عندنا اليوم بمنهج وتقنيات حديثة.

4- أظهر البحث أنّ ركائز البيئية كلها تجلت اجرائياً في كتاب الإعجاز العلمي والبلاغي والحسابي لمحمد قنديل..

5- أنّ الفكر البيئي يُبنى على الوقائع البحثية في تكتلاتها وسياقاتها للوصول الى مفهومها دون تفريق مكوناتها.

6- تسعى البيئية الى الخروج من سلطة النسق الواحد والتخصص الدقيق للوصول الى مناطق معرفية ظلت قائمة في عصر ما محاولة اخضاع المعرفة في كل تفرعاتها وتخصصاتها للوصول الى هدف واحد، وبذلك يرى البحث ضرورة إعادة فسح المجال للتصورات المعرفية المنهجية التي بقيت حبيسة الوضعية، وافساح المجال امامها كي تدلي بدلوها في عملية إنتاج المعرفة.

7- إن النتائج المعرفي للمنهج البيئي غالباً ما يعطي قراءات معرفية مقبولة، إلا انها تتطلب معرفة شمولية للمؤلف تمكنه من التنقل بين العلوم المختلفة، وبخلاف ذلك تكون النتائج عكسية وتعطي فهماً سطحياً يمثل اجترار لما هو سابق.

التوصيات:

- توصي الدراسة باعتماد المنهج البيئي في بحث القضايا العلمية ذات البعد الإشكالي فهي تعطي وصفاً علمياً أكثر دقة كونها تعتمد تعدد التخصصات في خدمة ظاهرة علمية واحدة.
- كما توصي الدراسة الباحثين بتطبيق المنهج البيئي على التراث العربي والتي ستجيب عن تساؤلات ضلت مكونة جانباً.
- وتوصي الدراسة أيضاً الى إيلاء ظاهرة الإعجاز القرآني بالغ الأهمية كونها تفتح آفاقاً جديدة وترسخ حقيقة الإيمان في نفوس الباحث والمتلقي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب المطبوعة

- القرآن الكريم
- التفكير البيني أسسه النظرية، وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الأمام محمد ابن سعود الإسلامية، (ت)، (د.ط).
- الإتيقان في علوم القرآن جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المنسوب، مطبعة دار الفكر، لبنان، ط1.
- الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية بيانية، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، ط3، (د. ت).
- إعجاز القرآن العلمي والبلاغي والحسابي محمد حسن قنديل، دار الكتب والوثائق المصرية، (د. ط)، 2006 ميلادية.
- البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي، مطبعة دار الزهراء، بيروت، ط4، 1975 ميلادية.
- تاج العروس، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسين ت 1205 للهجرة مرتضى الزبيدي، تح /مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت).
- تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي، دراسة في العلاقات بين العلوم، محمد همام، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط/ 1، بيروت، لسنة 2017 ميلادية
- الجامع لأحكام القرآن محمد بن احمد بن ابي بكر، ت 671 للهجرة، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض- السعودية، 2003 ميلادية.
- الدراسات البينية، بحث منشور في مجلة مركز الأبحاث الواعدة، جامعة الأميرة نورة عبد الرحمن.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الملايين،
- كتاب العين، الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال (د.ت)، (د.ط).

- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القاهر، ت 166 للهجرة، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ط1، 1995 للميلاد.
- المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، مكتبة سلمان المحمدي، بغداد/ العراق، ط1، 2013 ميلادية.

ثانياً: الأبحاث والروابط الإلكترونية

- نظرية البنائية في النقد الأدبي، د صلاح فضل، دار الشرق، القاهرة، 1998م